الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض
ونشاطه السياسي والثوري في الجزائر

أ.بن رحال امينة جامعة مسيلة

الملخص

من الرجال العباقرة الذين سابقوا الزمن،وسخروا أنفسهم لانقاد أممهم من بين مخالب الاستعمار الفرنسي، وكان لهم أثر كبير في نهضة الجزائر، وإسهام عظيم في استنهاض الهمم للتغيير الشامل علميا وعمليا، بما قدموه من أعمال وتضحيات جسام في سبيل الرجوع بالمجتمع المسلم إلى أصالته، نجد الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض ابن بلدة وادي ميزاب،هذا الأخير الذي يعد من بين الذين وضعوا الأسس الأولى لبناء أجيال لا تسقط رايتهم،فله الفضل في حمل مشعل النهضة الحديثة،كما انه قاد الكفاح في ميدان الإصلاح،وكان قطب الرحى في معاركه،فله مواقف مشرفة ومشكورة في قضايا وطنية سياسية حيث كان عضوا في جمعية العلماء المسلمين التي تأسست عام 1931م،ولم يمكث فيها طويلا بسبب نشاطه المكثف في معهد الحياة بالقرارة، فخلفه الشيخ أبو اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى،الذي كان نائب أمين مالها.

كما دخل الشيخ بيوض المجلس الجزائري كنائب عن دائرة غرداية بعد فوزه في الانتخابات التي جرت يوم 4أفريل 1948 واتخذ من هذا المجلس منبرا للدفاع عن القضايا الوطنية.و كانت له مواقف شجاعة في فضح دسائس الاستعمار ومؤامراته الماكرة، فقد قام بدور بطولي فعال لإحباط مؤامرة فصل الصحراء عن الجزائر التي دبرتها فرنسا من أجل تمزيق الوحدة الجزائرية،فلقد وقف الشيخ معارضا لتلك المؤامرة رغم الإغراءات والتهديدات التي تعرض لها.

كما كان محور النشاط الثوري ببلدته يديره بنفسه مباشرة،وبواسطة أبنائه الشباب من تلاميذه،بما في ذلك استقبال جنود جيش التحرير وضباطه وإيوائهم وجمع الأسلحة والتموين وإيصال ذلك الى مختلف مراكز الثورة في الجبال الشرقية والشمالية.

مقدمة:

كان الاستعمار الفرنسي منذ احتلاله للجزائر عام 1830 ، يسعى بكل ما لديه من قوة، إلى تحطيم الشخصية الوطنية، ومحو معالم القومية العربية الاسلامية فيها، حيث تجلت سياسته الاضطهادية، في محاولة تفكيك الوحدة الوطنية للشعب الجزائري، عن طريق زرع الشقاق و إثارة الفتن بين أبناء الوطن الواحد، وبالتالي أصبح المجتمع الجزائري في وضع بائس، يتطلب عملا ثوريا شاملا، لإعادة بناء ما تهدم من أساسه، وهنا برزت وجوه وطنية لامعة، تصدّت لهذه المشاريع الاستعمارية بكل ماتملك من قوة، فاستبسلت دفاعا عن قيم الأمة ومبادئها، وكان الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض واحد من ابناء الوطن الميزابيين، الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية خدمة الوطن، و الدفاع عن قضاياه، لاسيما قضية وحدة التراب، هاته الأخيرة التي أخذت حيزا كبيرا من اهتمامه، و بالتالي كانت له غايات قومية و سياسية، فهو لا يتردد في أن يصرح بها، و لما بلغ درجة عالية من الوعي، نجده قد استطاع أن يربط بين الفكر والعمل الجاد، إذ كان يحث طلبته في كل مرة على المشاركة في أعمال الثورة، بما يستطيعون، لأنها مهمة تتعلق بمستقبل الجزائر.

فإذا كانت هذه الشخصية، تحمل هذا القدر الكبير من الأهمية و النشاط في تاريخ الجزائر فمن تكون يا ترى؟ و أين تكمن إسهاماتها السياسية و الثورية؟

التعريف بالشيخ ابراهيم بن عمر بيوض(1899-1981):

1) أصله ونسبه:

هو إبراهيم بن عمر بن بابة بن ابراهيم بن حمو بن بابة بن أحمد بن علي بن اسماعيل بن عيسى بن علي، هذا الأخير هو الملقب " بأعلاهم" وهو الجد الذي تفرعت عنه فروع عشيرة " أولاد علاهم" في القرارة بميزاب في الجنوب الجزائري وهو من أولاد بخت بن يعقوب.[1]

لقبه بيوض، وأول من لقب به جده الثاني إبراهيم بن حمو الأول، لبياض لونه وجمال هيئته فسرى منه هذا اللقب الجميل إلى أسرته،[2] وأمه هي السيدة عائشة بنت كاسي بن بهون بن الناصر بهون، ولقب أسرتها " أولاد بهون" نسبة إلى جدها الأول " بهون بن الناصر" الذي يعتزون به[1]، وهي عائلة إشتهرت بحزمها وقوة شخصيتها وسداد نظرتها مما كان له الأثر الأكبر في توجيه ابراهيم وتربيته والدفع به إلى الأمام ليكون الزعيم والإمام.[2]

2) ميلاده ونشأته:

ولد إبراهيم بن عمر بيوض في أفريل 1899[3] بمدينة القرارة من وادي ميزاب جنوب الجزائر. كان والده من أعيان الإصلاح في البلد[4]، فرغم أنه لم يكن على شيء من العلم، فلقد كان تاجرا حينا و فلاحا حينا آخر، إلا أنه عرف بسداد الرأي والمشاركة في الشؤون الاجتماعية[5] كما كان صارما في تربية أبنائه فيقول إبراهيم ''كان أبي حازما صارما حريصا كل الحرص على تربيتنا، فإذا وجب العصا لا يرحمنا'' [6] كما عوده على خدمة العلم والعلماء فكان يبقيه في مجالسه حتى يستفيد من تلك المجالس وما يتداول فيها، ويعلمه ألا يتهيب من المشاركة في الحديث

والسؤال عما لا يعرفه،[7] فلقد غرست فيه هذه المجالس حب الإصلاح، ومعرفة أهله وأغراضه الطيبة، ومقت الفساد وأهله مقتا شديدا، فمنذ صباه كان يقضي وقتا طويلا في مجلس جده، يسمع المشاكل والمظالم التي ترفع إليه، فيفصل فيها ويسمع تجادل المتخاصمين أمامه ويعي كلامهم فأورثته مظاهر الظلم كرها للظلم و أهله.

وبهذا يكون ابراهيم قد نشأ في وسط اجتماعي عرف بأخلاق جمة من استقامة في السلوك والشجاعة والفصاحة والكرم، و لقد وصف ابراهيم أسرته بقوله : ''كان أجدادي يتصفون بالنشاط والجد وحب العمل والشجاعة والفروسية والذكاء والفصاحة وعلو الهمة وحب الخير...''[8]

3) تعلمه:

دخل إبراهيم بيوض المدرسة القرآنية في سن مبكرة، فاستظهر القرآن سنة 1911، وعمره إثنى عشرة سنة، حيث حفظه وأتقنه رسما وقراءة وتجويدا، عند شيخه محمد بن الحاج يوسف العطفاوي، ثم تصدى لأخذ مبادئ الفقه والعربية على يد مشايخ بلده منهم:

- الشيخ ابراهيم بن عيسى الابريكي[1] (1857 – 1911).
- الشيخ الحاج عمر يحي المليكي (1858 – 1921).
- الشيخ بكير بن ابراهيم العنق[2] (1868 – 1934).

- الشيخ عبد الله بن إبراهيم أبو العلا (1882 – 1960).

وعن الشيخ عمر بن يحي، الذي أخذ عنه الكثير، ولازمه طويلا، ورافقه في كل أسفاره، مطالعا ومحررا، توفي سنة 1921، حيث أصيبت القرارة بوباء وخيم، لم تشهد له المنطقة مثيلا، أودى بمئات من الضحايا، ومن بينهم قادة الإصلاح وأعيان البلد، فغاب الصف الأمامي منهم، وكان الشخص الوحيد المرشح لسد هذا الفراغ الكبير، هو الشيخ ابراهيم بيوض، الذي وجد نفسه فجأة

وسط الميدان، وفي الواجهة الأولى، حاملا للراية، متقدما للكفاح،[3] ولم يكن أحد يتصور أنه يقوى على أن يخلف الفقيد غير تلميذه النجيب إبراهيم، فخلف شيخه في رئاسته، وتبنى الحركة العلمية والنهضة الإصلاحية في القرارة، ثم في وادي ميزاب.[4]

وقد كان بيوض أهلا لما أوكل له، لتميز شخصيته بالجرأة والشجاعة والفصاحة والعلم ورجاحة العقل، فاستطاع أن يحل محل شيخه بإقتدار، في جميع ما كان يتولاه ويشرف عليه،[5] فاهتم الشيخ كثيرا بعلوم اللغة العربية والعقيدة والأصول والفقه والسيرة النبوية، ولم يقتصر على العلم النظري فحسب، بل بملازمة شيوخه وحبهم الشديد له، حظي بتكوين تطبيقي يعني بتربية النفس وتهذيبها،وصقل قدراتها العقلية والاعتناء بالأبدان وتنميتها، فجمع بذلك الأسس الثلاثة للتربية الحقة للروح والعقل والجسد.

4) نشاطه في الداخل:

في سنة 1922 أختير إبراهيم للإلتحاق بحلقة إيروان[1]، وهو أصغر عضوا، وما كان يلتحق بها إلا الكهول والشيوخ، ولم يمض سنتان على دخوله هذه الحلقة، حتى عين شيخا، يتولى مهمة الوعظ والتدريس بالمسجد الكبير سنة 1924[2]، لينتخب سنة 1940، رئيسا لمجلس العزابة[3] بالقرارة فتصدي للإصلاح الديني والاجتماعي، بحماسة وذكاء، فطهر الهيئة الدينية من عناصر الجمود والتخلف الفكري، ولقي صعوبات كثيرة [4] في سبيل تحقيق رسالته النبيلة.

دخل الشيخ ابراهيم معركة الجهاد الاصلاحي، فأنشأ معهد الشباب الذي صار فيما بعد معهد الحياة سنة 1925 [5] ، وجعله منارا للإشعاع المعرفي والاصلاح الاجتماعي، وآثاره بادية للعيان فلقد واكب الحركة الإصلاحية منذ فجرها في العشرينيات، وكان امتدادا طبيعيا لحركة قطب الأئمة الشيخ أطفيش الحاج امحمد رحمه الله، ومن سبقه من علماء مجددين، كالشيخ عبد العزيز الثميني وأبي زكرياء ويحي بن صالح الأفضلي، وقد أسهم هذا المعهد في إنارة الفكر الإسلامي، وإنماء الشعور الديني، وإذكاء الحس الوطني في نفوس الشباب، ولقد تولى الشيخ إدارته والتدريس فيه

حتى صار له شأن بعيد تجاوز حدود القطر الجزائري إلى أقطار عربية أخرى، وكان شعاره" الدين والخلق قبل الثقافة، ومصلحة الوطن قبل مصلحة الفرد "[6]

و لعل أروع ما يميز معهد الحياة عن سائر المعاهد الحرة المنتشرة في العالم الاسلامي، هو استمراره إلى يومنا هذا في أداء رسالته، لم ينخدع مسيروه ولم يغتروا في نشوة الاستقلال، فيضيعوا مفاتيحه في يد من لا يحنو عليه، ولم يستسلموا أمام التهديدات يوم تآمر المتآمرون على المعاهد الاسلامية بالجزائر.[7]

وكان من ثمراته أن تخرج منه ومايزال، أفواج متعاقبة من الطلاب، فيهم رجال وطنيين صالحين مصلحين، كالإمام والمرشد والعالم المفتي والباحث المحقق والأديب الشاعر، والمربي المصلح والمعلم المخلص، والعامل الصادق القوي الأمين، هؤلاء الذي انتشروا في أنحاء القطر الجزائري وخارجه.

شرع الشيخ بيوض في دروس الحديث من "فتح الباري" شرح صحيح البخاري سنة 1931 واختتمه بحفل علمي بهيج سنة 1945، وكانت تحضره كل الطبقات بالمسجد[1] كما كان الشيخ يتتبع الأحداث عن كثب باستماعه اليومي لمختلف الإذاعات، إضافة إلى اهتمامه المستمر بالصحف والدوريات والمجلات المختلفة، التي كانت تصدر من الجزائر وتونس ومصر وغيرها. ومنها نجد "الرسالة" للشيخ أحمد حسن الزيات، "الفتح والزهراء" للشيخ محب الدين الخطيب "المنهاج" للشيخ أبي اسحاق أطفيش، و"الفاروق" للشيخ عمر بن قدور الجزائري، إضافة إلى مجلة العربي، المجتمع، الأهرام... وغيرها.[2]

5) نشاطه السياسي والاصلاحي خلال الحركة الوطنية:

يعد الشيخ إبراهيم بيوض، من الرجال الذين تعددت نشاطاتهم العلمية والاجتماعية، باعتباره رجل علم وتربية، ولم يقف عند هذا الحد وفقط، بل كانت له إسهامات عظيمة وبقدر واسع في المجال السياسي الذي دخل ميدانه من بابه الواسع، حيث كان واحد من بين مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، ومن واضعي قانونها الأساسي ومن أعضاء إدارتها البارزين.[3]

لقد أقبل الشيخ رفقة مجموعة من العلماء المخلصين، يلبون الدعوة من جميع أرجاء الوطن مكبرين،ومهللين إلى الجزائر العاصمة، وبالضبط نادي الترقي، بقلب العاصمة (ساحة الشهداء حاليا)، هذا الأخير الذي كان مركزا هاما للاجتماعات الخاصة والعامة، ومنبرا حرا للوعظ والإرشاد يلتحق به كل من تعطش للإصلاح والعلم، تتناوب عليه فطاحل العلماء، ومن الشخصيات التي كان لها الفضل في وضع القانون الأساسي للجمعية نجد كل من الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ إبراهيم بيوض،

والشيخ العربي التبسي، والشيخ أبو اليقظان إبراهيم، والشيخ مبارك الميلي والشيخ أحمد توفيق المدني، والأمين العمودي والشيخ محمد خير الدين.[1]

والمعروف عن الشيخ بيوض أنه لم يمكث فترة طويلة كعضو في جمعية العلماء المسلمين بسبب نشاطه الدؤوب في معهد الحياة بالقرارة، هذا الأخير الذي أخذ منه القسط الأوفر من جهوده ووقته، لذلك نجد قد خلفه في الجمعية، بتلك الروح الحماسية، عميد الصحفيين الجزائريين، الشيخ أبو اليقظان الحاج إبراهيم،[2] فكان نائب أمين مالها ومن أعضاء إدارتها البارزين.[3]

كما دخل الشيخ بيوض المجلس الجزائري كنائبا عن دائرة غرداية، بعد فوزه في الانتخابات التي جرت يوم 4أفريل 1948، رفقة مرشحين آخرين من ميزاب،وهما مفدي زكريا وهو وطني في حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية،وعيسى بن عمر باعلي مترشح حر،وكان الشيخ بيوض مرشح حركة الاصلاح الايباضي قد فاز بنسبة52% من الاصوات[4] . وقد اتخذ الشيخ من هذا المجلس منبرا للدفاع عن القضايا الوطنية،مواصلا بذلك مسيرة الكفاح السياسي،فكانت له مواقف عظيمة بشهادة من عايشه، فعلى سبيل المثال رفيقه في المجلس الجزائري السيد محمد العربي دماغ العتروس، هذا الاخير بين دوره ومكانته وحقيقة نضاله في هذا المجلس فيقول:" التقيت معه ومع بعض اخواننا في محراب الحق والوطنية،نعم لا أستغرب أبدا موقف الشيخ بيوض يوم رفع عقيرته في وجه الطغيان الفرنسي قبل الثورة وأثناء الثورة،وذلك انه ما فتئ يصدر عن تعاليم الاسلام السمحة التي لا تساوم على الحق وعلى المبادئ أبدا،عرفته وهو يتجه نحوي مبتسما، أثناء جلسته صاخبة في المجلس الجزائري يدافع فيها عن العربية وعن الإسلام،ونريد ان نبطل حجج المبطلين والحاقدين الفرنسيين المستعمرين..."[5]

وبهذه الروح الوطنية والاسلامية العالية،كان الشيخ عبارة عن الصوت المدوي الذي طالما دافع عن القضايا العربية الاسلامية في الجزائر لاسيما في منطقةالجنوب[1] وكان همه الوحيد هو تحرير الوطن وتخليصه من براثن الاستعمار، فكان مشاركا وحاضرا في أحداث الوطن،بفكره وقلمه وتوجيهاته القيمة،وقد أعيد انتخابه في المجلس سنة 1951.

6) نشاطه المدني والسياسي خلال الثورة التحريرية:

كان للشيخ بيوض دورا هاما وجوهريا في مقاومة الاحتلال الفرنسي، إذ يعد من أشد المعارضين والمقاومين لسياسته الاستبدادية، فله مواقف شجاعة في فضح دسائس الاستعمار ومؤامراته الماكرة، كما كانت له مشاركة فعالة في الثورة التحريرية، حيث قدم خدمات جليلة لقضية الصحراء الجزائرية، وخلال

الثورة التحريرية كان على اتصال وثيق بالمراسلات السرية بينه وبين قادة جبهة التحرير الوطني، والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في المهجر،[2] بواسطة تلامذته وإخوانه.

أما المسألة التي برز فيها الشيخ بيوض كسياسي محنك، ومفاوض جاد، ووطني ثائر موقفه إزاء قضية الصحراء، فبعد احتلال فرنسا لمدينة الجزائر في صيف 1830 رسخت وجودها بالتوسع داخل القطر الجزائري، فسعى الاستعمار الفرنسي إلى السيطرة على البلاد بإحكام، حيث قام بالقضاء على نظامها السياسي نهائيا، وتم إلحاقها حين أعلن بمقتضى مرسوم ملكي فرنسي أصدره لويس فيليب يوم 22 جويلية 1834،على أن الجزائر هي جزء من الممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا.[3]

وبذلك يكون قد ضم البلاد وجرد أهلها من حقوقهم السياسية، وممتلكاتهم واعتدى على حرياتهم، ومحى شخصيتهم، هادف من وراء ذلك إلى تصفية وجود الدولة نهائيا، ووضعها تحت سلطة فرنسا ودستور الجمهورية الفرنسية الثانية الصادر بتاريخ 04 نوفمبر 1848،الذي جاء في مادته 109 على أن الجزائر أرض فرنسية.[4] وبالتالي اعتبرت فرنسا بأن الجزائر جزء لا يتجزأ منها، وبقيت متشبثة بأرضها، رغم المقاومات الصامدة المتعددة التي قادها الشعب الجزائري ضد المحتل الغاشم.

ولما رأت فرنسا بأن وجودها على أرض الوطن مؤقت، فهي عائدة لا محالة إلى ديارها حيث حاولت أن تمكر بالجزائريين، وأن تطبق مشروعها المتعلق بتجزئة التراب الوطني من خلال المشروع الذي طرحته الحكومة الفرنسية، والذي يقضي بفصل الصحراء عن الشمال،ففي 7ديسمبر1960 أصدر ديغول أمره بفصل الصحراء عن الجزائر وربطها رأسا بفرنسا[1]، ولقد ركزت فرنسا على منطقة الصحراء لما تكتنزه من خيرات عظيمة، ومجال حيوي،فهي بالنسبة لديغول ذات أهمية سياسية واقتصادية هامة، اذ تعد المستودع البترولي الذي يضمن لفرنسا استقلالها الاقتصادي عن الولايات المتحدة الأمريكية، وهي أيضا ميدانا للتجارب النووية الفرنسية، ومركز للاتصالات المستقبلية.

لأن غرداية تعتبر بوابة الدخول إلى إفريقيا بالنسبة لفرنسا، وبالنسبة للقوى الأوروبية الأخرى. [2]

وقد كان للشيخ بيوض موقفا صريحا إزاء هذه القضية، حيث عارض الفكرة معارضة شديدة منذ ظهور مشروعها سنة 1947،[3] إلى غاية استقلال الجزائر، فله يعود الفضل في إحباط وإفشال مؤامرة تجزئة التراب الوطني، فكان دائما يعتبر بأن الصحراء أرض جزائرية، وجزء لا يتجزأ منها، وبالتالي فقد دافع عن وحدة التراب الوطني بما فيه الصحراء،رغم الإغراءات والتهديدات التي تعرض لها من طرف الاستعمار الفرنسي.

وفي هذا الصدد يقول بن طوبال بأن الفضل يعود إلى الشيخ بيوض في إنقاذ وحدة التراب وبقاء الصحراء بكل خيراتها جزائرية، وبدونه كان يمكن أن تستمر الثورة عقدا آخر، ومرة أخرى أقول إن دور غرداية (المنطقة) هو الذي كان حاسما في الموضوع وغرداية تعني الشيخ بيوض.[4]

كما له شهادة أخرى بأن الشيخ بيوض كان يردد دائما في كل رسائله تقريبا بأن الصحراء جزائرية وأنه سيكافح بكل ما يستطيع لتبقى كذلك، وأنه لن يقبل أبدا بأن تصبح أية قطعة من الجزائر فرنسية، وكان يقول أيضا أن استقلال الجزائر هو هدفنا جميعا ولكن الطرق تتنوع.[5]

وخلال الثورة التحريرية واصل الشيخ عمله السياسي، ونضاله الوطني، فقدم ما عليه وكانت إسهاماته فيها كثيرة ودوره فيها بارزا ،حيث شارك بأعمال عديدة، اذ كان محورا للنشاط الثوري بميزاب عامة و القرارة بصفة خاصة، حيث كان يديره مباشرة بنفسه رفقة أبنائه الشباب من تلامذته[1]، وكان يدعوهم ويحثهم على المشاركة في أعمال الثورة مهما كان نوع العمل وبمايستطعون تقديمه، لأنها مهمة تتعلق بمستقبل الدولة الجزائرية، فلقد استطاع أن يكون خلية ثورية ميزابية تعنى بإيواء الجنود و جمع الأسلحة والمؤن والأموال لفائدة الثورة، و كان الميزابيون في الشمال الجزائرية بفضل توجيهات الشيخ بيوض من أخلص مساندي الثورة، وبقي مسؤولا عن خلايا جبهة التحرير الوطني في القرارة إلى غاية الاستقلال[2] وقد سخر التجار الميزابيون محلاتهم لخدمة المجاهدين حيث استعملت كمراكز للبريد ومستودعات للوثائق والمناشير والجرائد والأسلحة و الذخائر والأموال و المؤن، ومراكز للطباعة السرية وملتقيات للمناضلين المطاردين من طرف الشرطة الاستعمارية،وقد بلغ عددها في العاصمة لوحدها حوالي ثمانية وعشرين مركزا منها نحو سبعة رئيسية في أحياء غلاة المستعمرين،[3] فنقلوا في سياراتهم الخاصة الأسلحة والذخائر ومختلف الوثائق، وهنا نجدهم قد خاطروا بحياتهم، فرغم الخطر الذي يتعرضون له، إلا أنهم يعتبرون صورة ناصعة للمناضل الجزائري الوفي.[4]

كما كان للشيخ اتصالات مع سي الحواس و أحمد الخبزي الذي وفد إلى القرارة سنة 1956 و طلب من الشيخ بيوض الانضمام إلى جبهة التحرير باسم القيادة، فرد الشيخ على أنه في اتصال مع السيد بن يوسف بن خدة منذ عام 1955، و منذ ذلك الوقت بدأ الاتصال بالجيش فرتبت الأمور بشكل جيد، و تم جمع الأسلحة و الذخيرة، ثم قدمت إلى السيد أحمد الخبزي، و في نفس السنة التقى الشيخ بيوض برفقة الشيخ سليمان بن يوسف و السيد إسماعيل سماوي التاجر المناضل البارز في صفوف جبهة التحرير الوطني، وكانت أنذاك جبهة التحرير تدعوا إلى الوحدة الوطنية لجمع كل فئات الشعب في الثورة ضد الاستعمار، حيث التقى مع كل من السيد بن يوسف بن خدة و عبان رمضان في مدينة القبة و في هذا الصدد يقول السيد بن خدة " خاطبنا الشيخ بيوض وطلبنا منه المضاعفة و

المزيد من مشاركة إخواننا الميزابيين في العمل ضمن جبهة التحرير الوطني خاصة في ميادين التجنيد و مراكز الإيواء... طلبنا منه ذلك بالخصوص في الجزائر العاصمة حيث كنت أقوم تحت مسؤولية رمضان عبان بمهام قيادية ضمن جبهة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة في حق الشيخ بيوض ابراهيم بن عمر

أنا الممضي أسفره ، ابن خده بن يوسف ، عضو لجنة التنسيق و التنفيذ لجبهة التحرير الوطني (1956 / 57) الرئيس السابق للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (1961 / 62) أصرح بالشهادة الآتية في الفقيد الشيخ بيوض ابراهيم بن عمر امام الجماعة الاباضية المسزابية رحمه الله .

اني الشيخ بيوض ابراهيم قد وضع نفسه رهن اشارة جبهة التحرير الوطني طوال الحرب التحريرية .

(1) - اجتمعت به شخصيا في ربيع 1956م في القبة بمعمية الاخ رمضان عبان رحمه الله ، و كان مع الشيخ بيوض الشيخ سليمان ابن يوسف و الاخ اسماعيل سماوي رحمه الله التاجر في شارع مختار عبد اللطيف رقم 1 (دكتور طرولار سابقا) ، المناضل البارز في صفوف جبهة التحرير الوطني . و باسم الجبهة خاطبنا الشيخ بيوض و طلبنا منه أن يضاعف مشاركة المسزابيين في العمل ضمن جبهة التحرير الوطني ، خاصة في ميادين التجنيد و المالية و مراكز الايواء و الاتصال و البريد . و اذا خصصت بالذكر الجزائر العاصمة حيث مارست مسؤوليات ضمن لجنة التنسيق و التنفيذ فان نتيجة ذلك الاجتماع كانت ايجابية بمضاعفة نشاط المسزابيين في عملهم الثوري ، و قد وجدت أنا شخصيا العون و المساعدة لدى كثير من التجار المسزابيين . على رأس هذه القائمة أذكر الاخ اسماعيل سماوي الذي وضع تحت تصرف جبهة التحرير الوطني محله التجاري الموجود في 1 نهج عبد اللطيف (دكتور طرولار سابقا) . و على اثر ذلك اللقاء ضاعف الاخ سماوي جهوده و نشاطه و كذا أعضاء أسرته و ابراهيم و كل الذين كانوا يعطون معهم في المتجر . و هذا المحل كان سيرتاده أيضا أعضاء لجنة التنسيق و التنفيذ : عبان ، ابن سعيدي ، كريم ، ابن خده ، دحلب ، و بعض مسؤولي النظام مثل الاخ الهاشمي حمود عضو الاتصال للجنة التنسيق و التنفيذ الذي استشهد تحت التعذيب سنة 1957م و كثير من المناضلين المكلفين بالاتصال بين اللجنة و الولايات .

كان التجار المسزابيون من أخلص المساعدين الذين عبئت معهم كانوا يتمتعون بحدية و وطنية فائقة ، فوجودهم داخل الحي الاوروبي قد سهل كثيرا مهمة لجنة التنسيق و التنفيذ ، خاصة

.../...

عندما كان الاوروبيون في سنة 1956م لم يكتشفوا بعد نشاط اخواننا المسزابيين و انتماءهم الى جبهة التحرير الوطني . كانت محلاتهم مراكز للبريد و مستودعات للوثائق و المناشير و الجرائد و الاسلحة و الذخائر و مراكز للطباعة السرية و ملتقيات للمناضلين المطاردين من طرف الشرطة الاستعمارية ، ننقلوا في سياراتهم الخاصة الاسلحة و الذخائر و مخطف الوثائق رغم الخطر الذي يتعرضون له ، فهم صورة ناصعة للمناضل الجزائري الوفي .

و الى جانب اسماعيل سماوي أذكر ابن عيسى محمد و أخاه ابن عيسى حمو 21 شارع مصطفى نروخي (ريشوليو سابقا) الذي خصص دهليزه لطبع قرارات مؤتمر الصومام في خريف 1956م ، سعيد أحمد بن محمد و باباحمدون سليمان بن حمو 33 شارع محمد الخامس ، عمر جلماسي 29 شارع السيد مصطفى الوالي (دوميجي سابقا) زرقون الحاج عبد الله 124 شارع ديدوش مراد (ميشلي سابقا) بارك دوكالون ، سماوي باحمد بن بكير 16 نهج رضا حوحو (كلوزيل سابقا) الذي كانت داره مأوى و مركزا لأعضاء جبهة التحرير الوطني ، و بابا عمي اسماعيل 57 نهج ديك ديكار .

(2) - و على اثر اتفاق ايقاف النار المبرم يوم 19 مارس 1962م بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية و حكومة الجنيرال دوغول طبقا لاتفاقات "ايفيان" تكونت هيئة تنفيذية مؤقتة لتسيير الادارة الجزائرية الى يوم الاستقلال فعينت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الشيخ بيوض ابراهيم عضوا ضمن مجموعة جبهة التحرير الوطني في الهيئة اعتبارا لوطنيته و لمواقفه أثناء الحرب التحريرية اذ كان على اتصال دائم مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في تونس ، فكان مسؤولا على قسم التربية و الشؤون الثقافية في الهيئة التنفيذية المؤقتة .

كان الشيخ بيوض يحمل دوما بحد و اصرار لوحدة التراب الوطني رافضا بذلك كل محاولات فصل الصحراء عن بقية الوطن .

(3) - أضيف أن الشيخ بيوض كان يسعى دائما لتوحيد الشعب الجزائري سواء في توجيهاته الشريعية أو في دروسه العامة ،لم يأل جهدا في دعوة الاخوة الاباضيين الى الالتحام بمعقبة أفراد الامة بمثل ترخيصهم في أداء صلاة الجماعة في المساجد العالمكية بمختلف

.../...

المدن و الاحياء لاحباط الفكرة الاستعمارية الهدامة " فرق تسد " الشيء الذي لم يكن موجودا قبل عبده .

هدانا الله الى صراطه المستقيم و وحد صفوفنا في الظروف العصيبة التي نجتازها ، و صلى الله و سلم على سيدنا محمد .

حرر بالجزائر في 9 رجب 1407 / 9 مارس 1987 م

الامضاء :

ابن يوسف بن خده

و بعد ذلك اللقاء مع الشيخ بيوض وجدنا استعدادا أكبر ومشاركة أكثر من طرف إخواننا من ميزاب، أذكر من بينهم الأخ إسماعيل سماوي الذي وضع تحت تصرف جبهة التحرير الوطني محله التجاري الموجود في 1 نهج ابن رستم.[1]

وفي الأخير نخلص إلى أن الشيخ إبراهيم بيوض لم يكن الزعيم الروحي للإخوة الإباضيين الجزائريين فحسب، بل كان رائدا عظيما من رواد النهضة العلمية والإصلاحية وحتى الثورة التحريرية في الجزائر خاصة، وفي العالم العربي و الإسلامي عامة،كما كان أحد أعضاد الشيخ عبد الحميد ابن باديس في نشاطه الإصلاحي،كما كان من المساهمين في تحرير البلاد من رقبة الاستعمار الفرنسي وبالتالي فحياته كانت حافلة بجلائل الأعمال والجهاد المقدس المتواصل فهو بحق يعد من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا، وواحد من المجاهدين الذين عملوا في أكثر من ميدان، ورابطوا في أكثر من جهة، كله نشاط وحيوية، فرسالته كانت نبيلة،حيث حمل راية الجهاد المبارك من خلال مسيرة ظافرة،استمرت ستين سنة، أتت أكلها خيرا كثيرا وفتحا مبينا للجزائر وللعالم الاسلامي، ليبقى الوطن يجني ثمار جهوده فيما بعد، وقد عمل بجد وإخلاص وصدق حين قال يوما . "إني وقفت حياتي فيما مضى على أمتي،واني أقف عليها مابقي من أيامي والله حسبي. "

الهوامش

(1)– الحاج محمد بن الحاج بن الشيخ الحاج أمحمد أطفيش: الشيخ بيوض في محنته وحقائق حياة، ط2، بني يزقن، غرداية،2009، ص 51.

(2) - نفسه، ص 52.

(1) - محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر،ج1، مطبعة البعث 1974، قسنطينة، ص 130.

(2) - محمد صالح ناصر : الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما، مكتبة الريام، الجزائر، ص 12.

(3) – محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب الإسلامي من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر، ج2، ط2، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، طبع دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان، 2000، ، ص20.

(4)- ابراهيم بن عمر بيوض: أعمالي في الثورة، جمعية التراث، القرارة ، غرداية، ص13.

(5) - محمد صالح ناصر ، المرجع السابق ، ص 12.

(6) - محمد علي دبوز : المصدر السابق ،، ص 86.

(7)– محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 2، ط1 ، مطبعة دار البعث، قسنطينة، 1976، ص 203.

(8) - محمد علي دبوز ، أعلام الإصلاح ، ج1، ص93.

(1) - يعد من أعلام القرارة ، تعلم بمدينة الجلفة ، ثم التحق بمعهد الشيخ الحاج محمد بن الحاج محمد بن الحاج قاسم الشيخ بالحاج في القرارة ثم التحق بمعهد قطب الأئمة الشيخ محمد أطفيش ببني يزقن، و عند إكمال دراسته عاد إلى القرارة وفتح بها معهدا للدراسات الابتدائية والثانوية فتخرج منها الجيل الأول للإصلاح في القرارة منهم الشيخ إبراهيم بيوض، والشيخ أبو اليقضان إبراهيم ... وغيرهم، و قد خلف الابريكي شيخه الحاج محمد الشيخ بالحاج بعد وفاته، في منبر الوعظ بالمسجد فحارب الجهل والفساد ومختلف البدع. للمزيد أنظر معجم أعلام، الإباضية ، ص 26.

(2) - الحاج بكير العنق: (1868 – 1934) ولد بقرارة تلقى المبادئ الأولى من العلم عن الشيخ عمر بن يحي ، من جهوده تأسيس مشروع الجمعية الصديقية التي أنشأت أول مدرسة قرآنية عربية عصرية بمدينة تبسة و التي كانت نواة البعثة العلمية الميزابية إلى تونس سنة 1913، كما ترأس فرع الجمعية السرية في القرارة والتحق بحلقة العزابة في سنة 1934 في مسقط رأسه.

(3) - الشيخ سعيد بالحاج شريفي (الشيخ عدون): معهد الحياة نشأته وتطوره، تقديم محمد صالح ناصر، ط2، نشر جمعية الحياة وجمعية التراث، القرارة، غرداية ، الجزائر، 2009 ، ص 31.

(4) - محمد سليمان أبو العلا: صفحات من الكفاح خاص بالشيخ بيوض والاستعمار الفرنسي في الجزائر، ط1، جمعية التراث ، 2012 ، ص 17.

(5) - محمد الحسن فضلاء: أعلام الإصلاح في الجزائر ج1، مطبعة دار هومة، 2000، ص 93.

(1) - حلقة إيروان جمع " إيرو" أي الذي يرتوي العلم ، هيئة دينية في ميزاب ، تندرج ضمن نظام العزابة وهي هيئة طلبة العلم والحافظين لكتاب القرآن الكريم، فإنضمام العضو إليها هو تشريف له وتقدير لما يحمله في صدره من كتاب الله.

(2) - عيسى بن محمد الشيخ بالحاج " البعد التربوي عند الشيخ بيوض من خلال تفسيره لقصة موسى، مجلة الحياة العدد 01 ، جمعية التراث، 1998، ص 51.

(3) - هو نظام سنته الإباضية بعد سقوط الدولة الرستمية ، وهو عبارة عن هيئة ينتخب أعضاؤها في كل بلدة يشرف على الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية... يشترط العضو العلم و الورع والإخلاص و الشجاعة وأن يكون صاحب عمل أو حرفة، للمزيد أنظر: محمد ناصر: حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، جمعية التراث، القرارة،1989.

(4) - محمد سليمان أبو العلا، المرجع السابق، ص 17.

(5) - محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، ج 3 ، ط1 ، المطبعة العربية، الجزائر، 1969 ، ص 12.

(6) - إبراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص 14.

(7) - محمد ناصر: الشيخ القرادي حياته و آثاره، ص93.

(1) - إبراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص 14.

(2) - صالح حمدي: منهج الشيخ إبراهيم بيوض في عرض الإلهيات من خلال تفسيره في رحاب القرآن، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة قسم أصول الدين جامعة الحاج لخضر، باتنة ، (2005 – 2006)، ص 7.

(3) - يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط3، المطبعة العربية، 2014، ص228.

(1) - حمو بن محمد عيسى النوري: دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المجلد الرابع، دار البعث، قسنطينة، ص 65. أيضا: الشيخ محمد خير الدين: مذكرات الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 106.

(2) - هو الشيخ أبو اليقظان الحاج إبراهيم بن عيسى ولد عام 1888 بالقرارة إحدى بلدات ميزاب ولاية غرداية، تتلمذ في مسقط رأسه على يد الشيخ قطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش، ثم سافر إلى تونس عام 1912 لإتمام دراسته بجامع الزيتونة والخلدونية، وفيها شارك في الحياة العلمية والسياسية حيث انخرط في الحزب الحر الدستوري، تولى رئاسة البعثة العلمية الجزائرية عام 1914، له إسهامات عدة في مجال الصحافة حيث أصدر ثمانية صحف جزائرية، ترك حوالي 60 مؤلفا بين مخطوط ومطبوع، توفي رحمه الله عام 1973 بعد أن أصيب بالشلل النصفي. للمزيد أنظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 72.

(3) - النوري، المصدر السابق، ص 63.

(4) - محمد بن قاسم ناصر بوحجام: الشيخ بيوض و العمل السياسي، ط 1 ، المطبعة العربية ، 1991 ، ص 60.

(5) – نفسه، ،ص 61.

(1) – إبراهيم بن عمر بيوض ، المصدر السابق، ص 16.

(2) – نفسه.

(3) - جوان عليبسي: الجزائر الثائرة، تعريب خيري حماد، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1961، ص 15.

(4)- أنظر: Ageron, Charles Robert : Histoire de l'Algérie contemporaine, PUF, Paris, 1977, P 8-9

(1) - يوسف بن بكير، المصدر السابق، ص 216.

(2) - محمد صالح ناصر: الشيخ إبراهيم بيوض بن عمر مصلحا وزعيما، ص 355.

(3) – إبراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص 16.

(4) - شهادة السيد عبد الله بن طوبال، وزير الداخلية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية عن دور الشيخ بيوض في الثورة التحريرية، مؤرخة في الجزائر يوم 01 مارس 1990، نقلا عن محمد صالح ناصر، إبراهيم بيوض مصلحا وزعيما، ص 357.

(5) – حمو النوري، المصدر السابق، ص 98.

(1) - إبراهيم بن عمر بيوض، مصدر سابق ، ص 16.

(2) - يوسف بن بكير ، المصدر السابق، ص 328.

(3) - نفسه، ص 219.

(4) - شهادة ابن يوسف بن خدة في حق الشيخ بيوض ، حررت بالجزائر في 9 رجب 1407 هجري الموافق ل9 مارس 1987، نقلا عن حمو بن محمد عيسى النوري، المصدر السابق ، مجلد 4، ص 92.

(1) - شهادة بن يوسف بن خدة في حق الشيخ ابراهيم بيوض ، مؤرخة يوم 11 جوان 1996 بحيدرة ، نقلا عن محمد صالح ناصر : الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا و زعيما، ص 350.